مسيرات ووقت للسلام

أصبحت الحصارات الطويلة آخر الاساليب للحؤول دون قيام تظاهرات جماهيرية حاشدة، ووسيلة لعزل نشطاء الانتفاضة الفلسطينية عن بقية المواطنين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وقد استخدمت سلطات الاحتلال الاسرائيلية هذا الاسلوب مرتين، وفي فترتين متقاربتين، خلال كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٩ ومطلع كانون الثاني (يناير) ١٩٩٠؛ هما مناسبة الذكرى الثانية لانطلاقة الانتفاضة والذكرى الخامسة والعشرين لانطلاقة الثورة الفلسطينية في الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥. فخلال المناسبتين، ألزمت سلطات الاحتلال الاسرائيلية اكثر من مليون فلسطيني من سكان الضفة والقطاع على البقاء في منازلهم، تنفيذاً لاوامر عسكرية اصدرتها. ولم يحل هذا الاجراء دون قيام تظاهرات متفرقة في عدد من المناطق التي لم يشملها الحصار، خصوصاً في مناطق القدس وبيت لحم والخليل، حيث وقعت تظاهرات يومية اسفرت عن استشهاد مواطنين (داود كتاب، «الحصارات والقتل تميّز ذكرى الميلاد»، **ميدل ايست انترناشونال**، العدد ٣٦٥، ١٥/١٢/١٩٨٩، ص ٣)؛ الأمر الذي تطوّر الى متنفّس شامل مع بدء تنفيذ برنامج حركة «السلام الآن» الاسرائيلية، الذي نظّمته بالتعاون مع مؤسسات وهيئات فلسطينية واوروبية تحت شعار «١٩٩٠ وقت للسلام»، حيث شهدت القدس تظاهرة نسائية كبيرة، هي الاولى من نوعها، اعقبها قيام حوالى ثلاثين الف متظاهر، من يهود وفلسطينيين واميركيين واوروبيين، بتشكيل سلسلة بشرية احاطت بالقدس القديمة، في اكبر تظاهرة سلمية سجلتها احداث الانتفاضة خلال العام ١٩٨٩، واثارت فزع سلطات الاحتلال والدوائر الاسرائيلية الرسمية، وفي مقدمها الكنيست الاسرائيلي.

ذكرى ومذبحة

في الذكرى الثانية لانطلاقة الانتفاضة، اطلقت قوات الاحتلال الاسرائيلية النار على متظاهرين في قرية بني نعيم كانوا يرفعون علم فلسطين، فقتلت سارة المناصرة (٢٢ عاماً) وكامل حميدات (٢٦ عاماً)، فيما قذف ملثّمون قوات الجيش الاسرائيلي بحجارة (جويل غرينبرغ وميشال سيلا، «مقتل اثنين في الذكرى الثانية للانتفاضة»، **جيروزاليم بوست**، ١٠/١٢/١٩٨٩). وتمشّياً مع سياستها في التعتيم الاعلامي على الاحداث، لم تنشر الصحف الاسرائيلية تفاصيل المذبحة هذه، في اليوم التالي لوقوعها. «فقد اتفق، كما يبدو، على ان يكون يوم الذكرى السنوية الثانية للانتفاضة يومياً 'هادئاً نسبياً'، وربما دون قتلى او جرحى. ومساء الذكرى، الذي يصادف ٩/١٢/١٩٨٩، ظهر رئيس اركان الجيش الاسرائيلي، دان شومرون، على شاشة التلفزة الاسرائيلية، في مطلع فقرات نشرة الاخبار العربية، في الساعة السابعة والنصف، في لقطة 'هادئة' دامت اكثر من عشر دقائق. كان شومرون يقف وسط ثلّة من ضباطه وجنوده وسط مدينة رام الله. وقد ظهر ضمن المجموعة، وفي زاوية ضيقة، رئيس الادارة المدنية الاسرائيلية، الجنرال شاكي ايرز. وخاطب شومرون المشاهدين، الذين يفترض انهم المواطنون الفلسطينيون في الاراضي المحتلة، اضافة الى الاسرائيليين الذين يحلو لهم متابعة النشرة [الاخبارية] قبل نشرتهم الخاصة بهم في الساعة التاسعة، قائلاً: 'انظروا، انه يوم هادىء. وقد مرّ دون قتلى، أو جرحى، او احداث تذكر'» (**اليوم السابع**، باريس، العدد ٢٩٣، ١٨/١٢/١٩٨٩، ص ١٢). لم تكن الحقيقة كذلك، بالطبع. لكن القيادة العسكرية الاسرائيلية بذلت كل جهودها لترك الانطباع عن انتشار الهدوء في مناطق الضفة والقطاع. فقد ذكر صحفي فلسطيني يقيم في حي القصبة، في نابلس، ان خمس تظاهرات، على الاقل، اندلعت، في آن، داخل الحي الذي يسكنه فور